الإمام بنان الحمال

أعــلام التصـوف

الإمام بنان الحمال

الإمام، المحدث، الزاهد، شيخ الإسلام، أبو الحسن بنان بن محمد ابن حمدان بن سعيد الواسطي، نزيل مصر، ومن يضرب بعبادته المثل.

تلقى العلم عن الحسن بن محمد الزعفراني، والحسن بن عرفة، وحميد بن الربيع، وطائفة أخرى من العلماء.

ونقل علمه لنا: ابن يونس، والحسن بن رشيق، والزبير بن عبد الواحد الأسداباذي، وأبو بكر المقرئ، وجماعة كبيرة من العلماء والمحدثين.

وثقه: أبو سعيد بن يونس.

صحب: الجنيد، وغيره.

وقيل: إنه هو أستاذ الحسين أبي النوري، وهو رفيقه، ومن أقرانه.

وكان كبير القدر، لا يقبل من الدولة شيئاً، وله مكانة كبيرة عند الخاص والعام.

وقد عرف عنه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ليس لعامة المسلمين فقط بل اشتهر عنه زجره للخلفاء والأمراء وكان ذلك سبباً في تعرضه للابتلاء وقد امتحن في ذات الله، فصبر، وارتفع شأنه، فنقل أبو عبد الرحمن السلمي:أنه قام إلى وزير خمارويه - صاحب مصر - وكان نصرانياً، فأنزله عن مركوبه، وقال:لا تركب الخيل وعير، كما هو مأخوذ عليكم في الذمة.

فأمر خمارويه بأن يؤخذ، ويوضع بين يدي سبع، فطرح، فبقي ليلة، ثم جاؤوا والسبع يلحسه، وهو مستقبل القبلة، فأطلقه خمارويه، واعتذر إليه.

وقال الحسين بن أحمد الرازي:سمعت أبا علي الروذباري يقول:

كان سبب دخولي مصر حكاية بنان الحمال، وذلك أنه أمر ابن طولون بالمعروف، فأمر به أن يلقى بين يدي سبع، فجعل السبع يشمه ولا يضره، فلما أخرج من بين يدي السبع، قيل له:ما الذي كان في قلبك حيث شمك؟

قال: كنت أتفكر في سؤر السباع ولعابها.

قال: ثم ضرب سبع درر، فقال له - يعني: للملك -: حبسك الله بكل درة سنة. فحبس ابن طولون سبع سنين - كذا قال -.

وما علمت خمارويه ولا أباه حبسا.

وذكر إبراهيم بن عبد الرحمن:أن القاضي أبا عبيد الله احتال على بنان حتى ضربه سبع درر، فقال:حبسك الله بكل درة سنة.

فحبسه ابن طولون سبع سنين.

توفي بنان في رمضان، سنة ست عشرة وثلاث مائة، وخرج في جنازته أكثر أهل مصر، وكان شيئاً عجباً من ازدحام الخلائق [1].

(1) طبقات الصوفية: 294 291، حلية الأولياء: 10 / 325 324، تاريخ بغداد 7 / 102 100، الرسالة القشيرية: 24، المنتظم: 6 / 217، صفة الصفوة 2 / 450 448، العبر: 2 / 164 163، دول الإسلام: 1 / 191 190، الوافي بالوفيات 10 / 290 289، مرآة الجنان: 2 / 269 268، البداية والنهاية: 11 / 159 158 طبقات الأولياء: 124 122، النجوم الزاهرة: 3 / 221 220، حسن المحاضرة 1 / 513 512، شذرات الذهب: 2 / 271، 273، سير أعلام النبلاء، 14 /488.

مواقف من حياته - رحمه الله:

خذها، وأطعم الحلواء صبيانك

يروى:أنه كان لرجل على آخر دين مائة دينار، فطلب الرجل الوثيقة، فلم يجدها، فجاء إلى بنان ليدعو له، فقال:أنا رجل قد كبرت، وأحب الحلواء، اذهب اشتر لي من عند دار فرج رطل حلواء حتى أدعو لك.

ففعل الرجل، وجاء، فقال بنان:افتح ورقة الحلواء.

ففتح، فإذا هي الوثيقة، فقال:هي وثيقتي.

قال:خذها، وأطعم الحلواء صبيانك [1].

أوصني!

قال: " بينا أنا أسير بين مكة والمدينة، وإذا شخص قد تراءى لي، فأممت نحوه، فلما قربت منه سلمت عليه، وقلت له: " أوصني! " فقال: " يا بنان! إن كان الله قد أعطاك من سر سره سراً، فكن مع ما أعطاك؛ وإن كان الله لم يعطك من سر سره سراً فكن مع الناس على ما هم عليه من الظاهر ".

أليس حبيبك معك؟ !

وقال: " دخلت البرية - على طريق تبوك - وحدي، فاستوحشت، فإذا هاتف يهتف: يا بنان! نقضت العهد! لم تستوحش؟ ! أليس حبيبك معك؟ ! " [2].

(1) سير أعلام النبلاء، 14 /489.
(2) تاريخ بغداد، 7 /101.

من كلامه - رحمه ا لله:

- علامة سكون القلب إلى الله: أن يكون بما في يد الله أوثقُ منه بما في يده.

- اجتنبوا دناءة الأخلاق كما تجتنبون الحرام.

- الحر عبد ما طمع، والعبد حر ما قنع.

- متى يفلح من يسره ما يضره؟ !

- رؤية الأسباب على الدوام قاطعة عن مشاهدة المسبب، والإعراض عن الأسباب جملة يؤدي بصاحبه إلى ركوب الباطل [1].

- البريء جريء والخائن خائف ومن أساء استوحش [2].

- من أنس بغير الله في الخلوة فهو أبداً في وحشة.

ومن شعره - رحمه الله:

وتكلم يوماً في المحبة بكلام عجيب، ثم أنشد:

::
:
لحانى العاذلون، فقلت: مهلا! :: فإنى لا أرى فى الحب عارا
فقالوا: قد خلعت! فقلت: لسنا : بأول عاشق خلع العذارا
- من دعانا فأبينا :: فله الفضل علينا
فإذا نحن أجبنا : رجع الفضل إلينا[3]
::
:

* * *

(1) سير أعلام النبلاء، 14 /489.
(2) تاريخ بغداد، 7 /101.
(3) تاريخ بغداد، 7 /101.